الجمهورية
■ السبت ٢٧ شوال ١٤٢٧ هـ ■ الموافق ١٨/١١/٢٠٠٦م ■ العدد ١٣٥٤٨
ALGOMHURYAH Saturday 18 November 2006 No. 13548

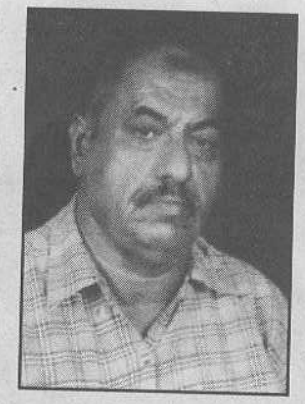

السخرية في (حكمة بتول) للشيباني

د. علوي عبدالله طاهر

أهداني الصديق المحامي أحمد عقلان الشيباني نسخة من ديوانه الشعري «حكمة بتول» وهو في ثمان وخمسين صفحة ، مطبوع بالكمبيوتر في صنعاء عام ٢٠٠٥ وربما يكون قد تم اصداره عن طريق مكتبه للمحاماة لعدم ذكر دار النشر ولا مكان طباعته، أو أنها النسخة الأولية.

تجدر الإشارة هنا إلى أسلوب الديوان ولغته، والمفردات التي كتبت به قصائده، حيث ان الشاعر قد عمد إلى نظمه بلغة عامية تقترب كثيراً من اللهجة الشائعة في محافظة تعز، وبالذات لهجة الحجرية وتحديداً لهجة «بني شيبة» التي يغلب عليها إحلال بعض الأصوات محل الأخرى، أي أن بعض الحروف تأتي بدلاً عن أخرى، فحرف «التاء» مثلاً يحل محل «الطاء» في لفظ «الطريق التي تلفظ «التريق» في قرى بني شيبة، كما أنهم يحذفون الهمزة في مثل «يأكل» و«الرأس» و«البئر» و«فؤاد» ونحوها، فلا وجود للهمزة في نطقهم، أو أنهم يميلونها، وإذا كانت الهمزة مكسورة ينطقونها «ياء» مثل «بئر، طاير» ذيب، وهكذا.

وفي لهجتهم يستبدلون «السين» التي تسبق الفعل المضارع بالشين فينطقون: «ستفيق» شتفيق» كقولهم: «متى شتفيق»؟ وقولهم «شروّح» أو يسقطون السين ويستعيظون عنها بالباء كقولهم: «باكتب الدرس» كما انهم يقلبون «الصاد» زاياً فيقولون: «زغير» أي «صغير» ويسقطون «هاء التأنيث» عند حديثهم عن الغائبة كقولهم «عيشة بابه مكسر» والمقصود بابها، وللتمييز بين الهاء الدالة على الغائب عن الهاء الدالة على الغائبة، يكسرون الحرف الذي يسبق الهاء عند الحديث عن الغائبة، ويضمونها عند الحديث عن الغائب «بابِهْ، بابُهْ» كما يكثرون المخالفة في بعض الكلمات ومن ذلك قولهم: ««دقّيتْ» «ردّيت» «الثلوث،الربوع....الخ».

وفي لهجتهم يزيدون الياء في ضمير المخاطبات مثل «جلستّين» «أكلتين» وفي الاستفهام يسقطون أداة الاستفهام مع تحويل الصوت بما يفيد الاستفهام، كقولهم: أجت؟ سرَت؟ أي هل أجت؟ وهل سرت؟ وعند الاستفهام «لماذا؟ يقولون: لموه، أو ليش؟ وعند الاستفهام بـ«ماذا» يقولون: إيش؟ أمّا حركات الإعراب فإنهم يسقطونها من أواخر الكلمات ويكتفون بالتسكين بصورة عامة، وهو ما ينبغي الإشارة إليه لتنبيه القارئ الشروع في قراءة قصائد الديوان آنف الذكر.

ولقراءة ديوان «حكمة بتول» لأحمد عقلان الشيباني، لابد أن يكون القارئ ملماً ببعض خصائص اللهجة التي كتبت فيها قصائده، والتي عمدنا إلى توضيح بعض تلك الخصائص في بداية هذه المقالة.

والملفت في الديوان هو تلمسه لمشكلات الفلاح البسيط وتفاعله مع همومه وتجاوبه مع قضاياه، ومخاطبته بلغته والحديث باسمه، والتعبير عن حاله، وإبراز حكمته ، وتصوراته في الحياة بأسلوب ساخر، ونقد لاذع لواقع الحياة.

وقد تصدرت الديوان قصيدة «المهْيَفْ» والمراد به الهاوية، وهي قصيدة ناقدة للوضع الاجتماعي القائم على أساس تعظيم المال ورجاله، واحتقار الفقراء وازدرائهم، حتى لو كانوا متعلمين أو لديهم قسط من الثقافة والوعي بمجريات الأمور، بما يوحي بأن الثقافة لا قيمة لها في المجتمع ،وإن المثقف أصبح منبوذاً في مجتمعه ما دام شريفاً نزيهاً، وقد عبر عن ذلك بقوله على لسان الأم:

وابني وعبده كفاك الفقر والطرطرة
شوف الرجال كيفهم واعمل قليل مثلهم
وبطّل السَّبْلله
قالوا مثقّف كبير تقرا الكتاب العُكير
والناس يقولوا خطير ولابس المبصرة
وانت عُكير رِنْجلَهْ
جوّعت امّك وابوك قرّحت قلب المرة
البيت فارغ نشاف والعظم يابس عجاف
تتخور المدهلة
واعبده وابني متى شتتعلم المرجلة
تعرف أصول الزمان واللف والحنجلة

ويعمد الشاعر إلي تصوير مشاعر الأم حين ترى ابنها المتعلم لا حول له ولا قوة في حين ترى غيره من الناس رغم جهلهم فإنهم قد يشقون طريقهم في الحياة وصار يشار إليهم بالبنان، لا لشيد إلاّ لأنهم سلكوا طريق الشر، وعرفوا «الزنقلة» فاكتسبوا مهابة وصار الناس يخافونهم، لأن حضورهم يكون مصحوباً - عادة» بالجلجة والفوضى والصخب، لإخافة الناس، فرثت الأم لحال ابنها وحظه الخائب، واعتقدت أنها أخطأت بتسمية «عبده» فربما كان هذا الاسم هو سبب شقائه وبؤسه، فندمت لوكونها هي التي سمته هذا الاسم الذي جلب له النحس، فقررت تغيير اسمه لعل تغيير الاسم يجلب له الحظ، فسمته «مُعَيْطْ» لأنها ترى معيطاً وأمثاله في أعلى المراتب وأفضل المواقع.

قهري وكبدي عليك
بالآخرة والأوله
حين قلت اسميك عبده
أصبحت بلا صيت ولا
قم يابني نخلف لك الإسم
«مُعيط نخيط بهررة»

وهذا هو الإسم المقترح ليتسمى به ابنها بعد تخليه عن اسمه القديم «عبده» لأنه بعد تغيير اسمه سوف لن يخجل اذا ما سلك سلوكاً مشيناً، أو تصرف تصرفات غير لائقة،

فذلك يتمشى مع متطلبات الواقع غير السّوي .. ونصحته بعد تغيير اسمه أن يفعل مثل الناس بقولها:

تشك حصرك رصاص
وشقّها قنبله
وتشل خمسة فرغ
جنبك لهم جلجلة
يفجعوا أهل البلاد
ويعرفوا الزنقله
تنخط وتلبس قميص
وتترك السّروله
تجني السّلا والحلا
وتكسب المعقلة

وقد عمد الشاعر إلى السخرية من الواقع الذي اختلت فيه الموازين، وتعطلت فيه القيم، فقال في قصيدة أخرى على لسان الأم وهي تنصح ابنها الخائب قائلة:

«يابني أنا بعد كل صلاة أدعي لك
تقع حنك، بطّاشْ، والرزق شجي لك
تكن مهنجمْ ، يشتعلْ فتيلكْ
تقرح كما البارود والرزق شِجي لكْ

فإذا سمع بنصيحتها فإن حاله سيتغير بالضرورة وعند ئذ فإن الناس سيخضعون له ، وسيسمعون كلامه «وشخضعوا لك، شسمعوا كلامك.

شخزّنوا يا ابني طرف رُجُولكْ
تكنْ كما الدّيكْ حينما يُقاقي
كل الدجاجْ جنبكْ يُسبللوا لكْ

وسيحصل كل ذلك لأنه سيصبح معه فلوس، وعادة الناس يميلون إلى صاحب المال.. وقد قيل قديماً:

رأيت الناس قد مالوا
إلى من عنده مالُ
ومن لا عنده مالُ
فعنه الناس قد مالوا

وفي لغة الشاعر على لسان الأم المسكينة تقول:

«يابني الفلوس تْنطَقْ اللّي هُو أعجمْ
وتقلب الجزّار شيخ مُضرغمْ
ولو زاد معه الي نخَطْ وهنجمْ
ولطّم الطارفْ، زيطْ ودَلكمْ
كم من مثقّفْ جنبه شصبْح أعجمْ».